كتب

في «نقد الجغرافيا التوراتية خارج فلسطين»، يدخل علاء اللامي حقلاً بحثياً بمعرفة عابرة وعجولة، تجتزئ المراجع والوقائع لإثبات ما حاول كتّاب صهاينة إثباته، دون أن ينجح. كتاب يقوّل مؤرخين ما لم يقولوه ويبخل بالأدلة

تهافت النقد بلا أدلة ولا وقائع

الجغرافيا الفلسطينية ليست توراتية

محمد الأسعد

ينتقد الكاتب العراقي علاء اللامي في كتابه «نقد الجغرافيا التوراتية خارج فلسطين ودراسات أخرى» (مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2020) جملة دراساتٍ وأبحاثٍ لباحثين عرب يكشفون عن عدم تطابق الجغرافيا، كما ترسمها التوراة اليهودية، مع الجغرافيا الفلسطينية، ويعيدون موضعة هذه الجغرافيا في مناطق أخرى، في جنوبي وغربي الجزيرة العربية. ويسعى اللامي كما يقول إلى «إعادة موضعة الحدث التوراتي، وبضمنه قصة شعب إسرائيل القديم وشبه المنقرض، في التاريخ الفلسطيني». ويضيف إلى هذا قوله إنه يقدم على «إعادة الموضعة هذه» تحدّياً «لما فعلته وتفعله الاستراتيجيات التأليفية التوراتية ذات النزوع الصهيوني، الهادفة إلى قلب المعادلة وجعل تاريخ فلسطين الطويل والعريق حيثية فرعية صغيرة من التاريخ والرواية التوراتية لاعقلانية ولا تاريخية».

الواضح أن هذا الكاتب يتّجه نحو هدف مزدوج؛ الأوّل، نفي النزوع الصهيوني لجعل تاريخ فلسطين «الطويل والعريق حيثية فرعية صغيرة من التاريخ والرواية التوراتية»، والثاني «إعادة موضعة الحدث التوراتي... في التاريخ الفلسطيني». وبالطبع، لا يمكن الوصول إلى الهدف الأول كما يظن إلا بتحقيق الهدف الثاني، أي إثبات التطابق بين الجغرافيا الفلسطينية والجغرافيا التوراتية. ولهذا كرّس معظم صفحات كتابه لنفي ما ذهب إليه باحثون، على رأسهم الراحل كمال الصليبي، من أدلة على عدم تطابق الجغرافيتين، ليصل إلى أن تاريخ فلسطين ليس «حيثية صغيرة من التاريخ والرواية التوراتية». وهو أمر توصّل إليه باحثون ذَوو مستويات رفيعة مثل الاسكتلندي كيث وايتلام والأميركي توماس تومسن والفلسطيني نور مصالحة، من دون حاجة إلى نقد ما سماه «الجغرافيا التوراتية خارج فلسطين»، بل بنزعهم لقبضة الخطاب التوراتي الخانقة الممسكة بتاريخ فلسطين.

المثير للانتباه في هذا الكتاب قولُ الكاتب إنه بصدد «قراءة نقدية تاريخية تحتكم إلى الوقائع والأدلّة والتوثيق المحكم والمنهجية الدقيقة ما أمكن». ولكنّ القراءة الشاملة لهذه «القراءة النقدية» كشفت لي أنها لا تقوم على أساس احتكام إلى وقائع وأدلّة وتوثيق محكم ومنهجيّة دقيقة، بل يؤسسها صاحبها على ما تقوله كتابات آخرين (حتّى من دون فحص أدلّتهم أو العودة إلى أصولها المترجمة عنها)، وبعضهم ينتمي إلى ما يُسمى «علم الآثار التوراتي» الذي لا يمت للعلم بصلة، لأنّه يسعى إلى إثبات «صحّة» تصوّراتٍ مسبقة ثابتة في أذهان أصحابه مصدرها الخطاب التوراتي ولا تغايرها أيّ مكتشفات معاكسة من أيّ نوع، من أمثال وليم أولبرايت وعضو بعثة التنقيب في آثار إيبلا جيوفاني بتيناتو. وبعض هؤلاء يحاول «عقلنة» هذه التصوّرات ونقد الجانب الأسطوري فيها من أمثال إسرائيل فنكلشتاين ونيل سلبرمان.

كما أن المؤلّف يعتمد على تفسيرات أمثال الطبري وابن كثير للقرآن الكريم، وهي تفسيرات منقولة عمّا يسمى «الإسرائيليات» ولا يمكن أن تكون شواهد علمية، كما أثبتت الباحثة آمال ربيع في كتابها «الإسرائيليات في كتاب الطبري» (2001) والباحث محمد حسين الذهبي في كتابه «الإسرائيليات في التفسير والحديث» (من دون تاريخ). وهو يصل إلى إثبات «فلسطينية الجغرافيا التوراتية» على الضد من أطروحة الراحل كمال الصليبي التي تنسب جغرافيا التوراة إلى منطقة عسير في غربي الجزيرة العربية، ومَن تابعه مثل الباحث زياد منى، وفرج الله ديب؛ وعلى الضد من أطروحة كل من أحمد عيد وفاضل الربيعي سواءً في نسبة هذه الجغرافيا إلى غرب الجزيرة العربية بشكل عام أو إلى اليمن بشكل خاص.

هذا لا يعني أن الموضوعة التي يطرحها هؤلاء الباحثون فوق النقد، بل يعني أن صاحب كتاب «نقد الجغرافيا التوراتية خارج فلسطين» لم يسلك مسلك النقد المستند إلى «وقائع» و«وثائق» «وأدلة». فهو يبدأ كتابه بتقرير أن «مدينة القدس الفلسطينية» هي ذاتها «أورشليم» المذكورة في التوراة، وأدلته التي يستند إليها هي ممّا اصطنعه «آثاريون توراتيون»، كالقول بالعثور على قطعة أثرية عام 1926 وعليها نقش اسم أورشليم. وهو نقش تبيّن أنه أضيف من قبل التوراتي الأميركي وليم أولبرايت إلى كسرة فخار عُثر عليها في تل الدوير الذي أطلقوا عليه اعتباطاً اسم «لاخيش» التوراتي، أخذاً من قِبَل من نقّبوا فيه لاسم قرية أم القيس القريبة منه، بعد إزالة ألف التعريف وقراءته على أنه «أم لكيس» وعبرنة الاسم ليصبح «لاخيش» (لدينا مقالة أولبرايت التي أدخل فيها هذه الإضافة ونشرها عامَ 1941).

أما القول بأن الاسم «أورشليم» واردٌ في آثار مدينة إيبلا فلا يقلّ خطأً عمّا سبق، لأنّ القائل بهذا كان الإيطالي بتيناتو في تقارير أخرجها للصحافة ودحضها فيما بعد رئيسُ البعثة الإيطالية باولو ماتيه وقارئ النقوش ألفونسو آرتشي، وكلها وقائع موثّقة في الدوريات الأميركية التي تناولت ما عُرف بأنه تلفيقات بتيناتو.

والغريب أن الكاتب يجزم بأن فنكلشتاين مثلاً «يقدّم حشداً مهمّاً من الأدلّة الملموسة على فلسطينية الجغرافيا التوراتية»، من دون أن يقدّمها ويفحصها كما فحصها علماءُ آثار غير توراتيين ولم يجدوا دليلاً على نسبتها إلى التوراة وأحداثها. بل وأظهروا أنهّا ملفقة، بما في ذلك النقش المسمى «نقش ميشع»، وبأن المنقبين كانوا يستخدمون مخيّلتهم الخصبة، كما رأى بيتر جيمس في كتابه «قرون الظلام» (1991) أو يظنون، كما هو حال كاثلين كينون وهي تنقب في مدينة فلسطينية وتعلق بالقول إنها تظن وترجح أن الأحداث التوراتية الفلانية وقعت فيها! من دون أن يكون بين يديها دليلٌ ملموس على هذا.

والأغرب أن يعتبر الباحث أن ما طرحه الراحل كمال الصليبي «تكهنات... تعتمد أولاً وأخيراً على المقابلة اللغوية في الأسماء ضمن علم فقه اللغة المقارن». وفي هذا خطأ بائن يمكن أن يكتشفه فوراً من قرأ الكتاب. لقد اعتمد الصليبي على مقاربة ألسنية، هذا صحيح، ولكنه اعتمد أيضاً على المقاربة الطوبوغرافية في قراءة وتقدير المسافات بين الأمكنة التي يتحدّث عنها النص التوراتي، واعتمد أيضاً على قراءة النصّ العبري وأرجعه إلى حروفه الساكنة قبل أن يُدخِل عليه من يُسمون المسوريتيين حركات الإعراب بعد سنوات طويلة من موت العبرية وخروجها من الاستخدام، بالإضافة إلى تصويب قراءة نقوش الحضارة المصرية القديمة والآشورية التي قرأها «التوراتيون» في ضوء معتقدات مسبقة على أنها تتحدّث عن فلسطين وجغرافيتها. وفوق كل هذا يأتي عدم وجود أيّ أثر مادّي دالّ على حدث من أحداث التوراة في فلسطين مما قد يضيف قوة إلى ما ذهب إليه.

(كاتب وناقد فلسطيني)

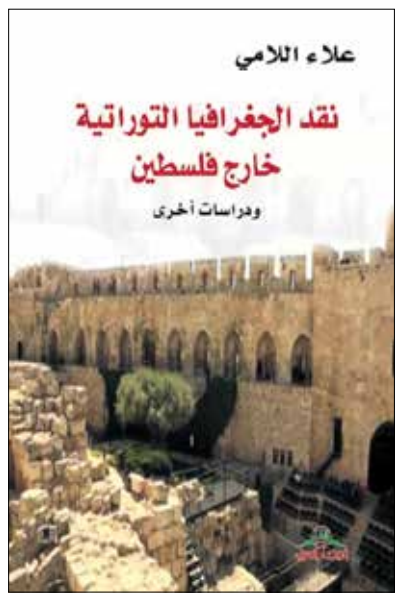

في الخلط والتضليل

في قول المؤلف إن ثمة «حشداً» من الأسماء العبرانية في خريطة فلسطين تخليطٌ يقترب من تعمّد التضليل؛ لأن خريطة فلسطين القديمة لا توجد فيها أسماء عبرانية. اما المعاصرة، فيكفي التذكير بكتابات بعض الصهاينة أنفسهم، مثل ميرون بينفنستي الذي يروي حكاية اغتصاب وعبرنة أسماء الأماكن والمدن الفلسطينية في كتاب «المشهد المقدس: تاريخ الأرض المقدسة المطمور منذ عام 1948» (2002).

يؤسس المؤلّف كتابَه على ما تقوله كتاباتُ آخرين

يحاول مطابقة الجغرافيا الفلسطينية والجغرافيا التوراتية

«حكايا»، نبيل العناني، 2015

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

نظرة أولى

تطور سوريا في ظل الانتداب عنوان النسخة العربية التي صدرت عن سلسلة «ترجمان» في «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» من كتاب المفكر السوري إدمون رباط (1904-1991) بترجمة سليمان رياشي. يتناول الكتاب طبيعة العمل السياسي للاحتلال الفرنسي والقضايا التي طرحت نفسها وكانت تنتظر دائماً حلاً جذرياً، ومحاولات قادة ما قبل الحرب العالمية الأولى لتحديث الدعائم الهرمة لنظام الدولة العثمانية وفق التصورات الغربية، باعتبار أن النظام الطائفي والمنظومة الإدارية العثمانية هما نتاج الماضي، ويعثّران في سورية صنع المستقبل.

يقدّم أستاذ فنون عصر النهضة جيسي لوكر في كتابه **أرتيميسا جنتلسكي: لغة الرسم** الذي صدر حديثاً عن «منشورات جامعة يال»، سيرة للفنانة الإيطالية (1593 - 1656) تدحض الافتراضات القديمة بأنها كانت شبه أميّة، حيث تلقت تعليماً وإلماماً بفنون الفترة التي عاشتها من خلال تعلّمها الذاتي، والذي انعكس بدوره على لوحاتها التي تضمّنت أحداثاً وشخصيات تاريخية مستمدّة من الكتاب المقدس. ويأتي الكتاب في سياق إعادة النظر في دور جنتلسكي خلال عصر الباروك الذي كان من الصعب خلاله أن تبرز فنانة وتصبح عضواً في «أكاديمية فلورنسا».

هاملت الجرافيك المصري: نحميا سعد (1912 - 1945) عنوان الكتاب الذي صدر حديثاً للباحث المصري ياسر منجي عن «مؤسسة الجزويت للنشر والإعلام». يستعرض الكتاب حياة فنان مصري ينتمي إلى الجيل الثاني من التشكيليين المصريين ويوثق لما بقي من أعماله المعروفة، إضافة إلى كشفه عن أعمال مجهولة لم توثق من قبل في مرجعيات تاريخ الفن المصري الحديث، كذلك يشتمل على تحليلات نقدية لبعض تلك الأعمال المجهولة، تضمنت رؤية لسمات أسلوبه الفني ومعالم أدائه التقني. ويتضمن الكتاب بعض المواد الوثائقية ذات الصلة بفنه وسيرته.

عن منشورات «كافاليه بلو»، صدر أخيراً كتاب **أسود وأخضر** لفيليب بيلوتييه، وهو عمل يقدّم قراءة تاريخية في تقاطعات تيارين فكريين وسياسيين، هما: الإيكولوجيا والفوضوية. يرى المؤلّف أن هذين التيارين يقفان على أرضية واحدة هي الرغبة المعلنة في تغيير العالم انطلاقاً من فرضيّة أن العالم الحالي غير قابل للعيش لأسباب سياسية واجتماعية لدى الفوضويين، ولأسباب مناخية بالنسبة إلى الإيكولوجيين. يدرس المؤلّف أيضاً اشتغال الرأسمالية على احتواء التيارين، وتعميق التناقضات بينهما، وهو ما يفسّر قلة الالتقاء الفعلي بينهما.

عن دار «شرق الكتاب» في بيروت صدر حديثاً للشاعر اللبناني عقل العويط (1952) كتابٌ شعريّ تحت عنوان **الرابع من آب**، الذي يحيل على تاريخ الانفجار الهائل الذي ألمّ بميناء العاصمة اللبنانية العام الماضي. يتضمّن الكتاب قصائدَ تشكّل في نهاية الأمر قصيدة واحدة يخاطب فيها بيروت المنكوبة، وميناءها، ويسائل جروحهما، حبّاً ورثاءً ومديحاً. من أجواء الكتاب: «لن أسمّيكِ الضوءَ/ الذي تشظّى في الليل/ ولا الوهجَ المجمّر/ الذي ذاب تحت أنين الذهب/ وتحت شمس النهار/ لن أسمّيك مدينةً سابقة ومفقودة/ ولا القبرَ المفتوح».

صلاح السعدني: ابن الحلم واليقظة عنوان كتاب صدر حديثاً لأحمد خميس ضمن منشورات «المهرجان القومي للمسرح المصري» الذي أقيم الشهر الماضي. يركّز المؤلّف على المسيرة المسرحية لصلاح السعدني، التي ظلّت مهمّشة بسبب النجومية التي حقّقها في أعمال درامية أبرزها دوره في مسلسلي «بين القصرين» و«ليالي الحلمية». شارك السعدني في أكثر من 35 مسرحية عرفت تنوّعاً في الأدوار التي قدّمها، فبعضها كان مقتبساً من الكلاسيكيات العالمية، وانتمى بعضها الآخر إلى المسرح الاجتماعي، كما كانت له تجارب في المسرح السياسي وفي الكوميديا.

الهجرات عبر المتوسط من العصور الوسطى إلى أيامنا عنوان كتاب جماعي باللغة الفرنسية صدر حديثاً عن منشورات «نيرفانا»، وأشرف عليه الباحث التونسي رياض بن خليفة، وقدّم العمل إهداءً للجغرافي المغربي محمد شارف. من خلال ثيمة الهجرة، يقرأ المشاركون تحوّلات العلاقات الدولية في منطقة البحر الأبيض المتوسط، التي تمثّل في الوقت نفسه نقطة التقاء بين الشرق والغرب، بالدلالات المتداولة لهذين المصطلحين ضمن العلوم الإنسانية، من الفلسفة إلى الدراسات الأدبية، وبين الشمال والجنوب بحسب مصطلحات العلوم السياسية.

الأميرة والخاتم هو عنوان آخر روايات الكاتب اللبناني رشيد الضعيف (1945)، الصادرة حديثاً لدى «دار الساقي» في بيروت. تدور الرواية في مساحة تجريبية جديدة في أعمال صاحب «تبليط البحر» (2011)، وتتمثل في عالم سحريّ أو شبه سحريّ يذكّرنا بـ«أليس في بلاد العجائب» وحكايات الأخوين غريم. تحكي الرواية قصة ملك وملكة وابنتهما الأميرة وخاتمها الضائع؛ تنام الأميرة دهراً طويلاً في انتظار حبٍّ سيقودها في نهاية المطاف، عبر رحلة في الزمن، إلى فلسطين، التي تعدّ من الأسماء الواقعية النادرة التي تأتي الرواية على ذكرها.